النعمة والحق

الافتتاحية بقلم: لاري اوندر جاك

الطهارة في المنظور الكتابي

لئن كانت كلمة ''النجاسة'' ترد في الكتاب المقدس ثلاث مرات أكثر من كلمة ''الطهارة'' فذلك يعني بأن الرب يريدنا أن نبقي في طهارة كل الأوقات. وإن كان يبدو أن الكثيرين ممن يقرأون الكتاب المقدس ينحصر تفكيرهم عن الطهارة والنجاسة فيما يتعلق بالخطية الجنسية وأظن أنه من المناسب أن نتأمل بعض الأفكار الكتابية عن الطهارة.

فمثلاً؛ يسجل الكتاب المقدس عن الطهارة كطريق تُطهر به أنفسنا كخدام لله للآخرين (٢كو٦: ٤-٦) كما وأن الطهارة أيضاً الوسيلة التي تُظهر بها أنفسنا كأولاد الله وفي هذا كتب الرسول بولس لتيموثاوس: «لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ» (١تي٤: ١٢) والطهارة تساعدنا للتعامل مع الآخرين بأسلوب لطيف وغير خشن: «لاَ تَزْجُرْ شَيْخًا بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ، وَالأَحْدَاثَ كَإِخْوَةٍ، وَالْعَجَائِزَ كَأُمَّهَاتٍ، وَالْحَدَثَاتِ كَأَخَوَاتٍ، بِكُلِّ طَهَارَةٍ» (١تي٥: ١، ٢).

وذكر الرسول بطرس في رسالته الأولي عن الطهارة كطريق للنساء لقيادة أزواجهن للرب حيث نقرأ: «كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ، ٢مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ» (١بط٣: ١، ٢) وكذلك فإننا نجد أن الطهارة تميز شعب الرب عن أهل العالم. وفي هذا تحرضنا كلمة الله «فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ» (كو٣: ٥).

ومن خلال هذا العدد نجد – القارئ العزيز والكاتب معاً – ما يعيننا في هذا الطريق وأول ما يهدف إليه الكتاب المقدس بعهديه هو أن نحفظ أنفسنا طاهرين في هذا العالم وأن لنا مصادر نقدم بها قداسة الله للعالم وثالثاً نجد طرقاً محددة لحفظ طهارة أجسادنا فالرسالة واضحة لكل منا «أحفظ نفسك طاهراً» (١تي٥: ٢٢).

موضوع العدد (١)　　بقلم: إيمانويل فون

ما نحتاج معرفته عن الطهارة الجسدية

حيث يسود التشويش في أي مجتمع فإن الحاجة الملحة والهامة ماهية الطهارة الجسدية. وهناك الكثير من المطبوعات التي تتعلق بهذا الشأن والبعض يبحث عن الحب، القبول، ولفت الأنظار والتوافق، والبعض الآخر يخلط بين الحب والجنس وما يقبله المجتمع فهو مقبول بالتالي أخلاقيا. ونتيجة لذلك فهم يعيشون في الخطية وما يترتب عليها من خوف وجريمة وعبودية. وفي مقالنا هذا سأحاول تقديم المنظور الإلهي ومقياسه وتدبيره لسبل حفظ الطهارة الجسدية.

المنظور الإلهي:

بالرغم من محاولات حديثة يبذلها الإنسان لاكتشاف الجنس كما فعل كولومبس لاكتشافه أمريكا، فإن الله نفسه نظم أساساً وأوجد موضوع الجنس. وفعل ذلك منذ البدء إذ نقرأ في (تك٢: ٧، ٢١، ٢٢) «وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً..... فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ».

فالله أولاً انشأ العلاقة الجنسية بين آدم وحواء –الرجل والمرأة– وهكذا قدم منظوره الإلهي من جهة الجنس ورسم ذلك للتمتع بالعلاقة الزوجية لأسباب ثلاث:

١. لإنجاب الأطفال: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا» (تك١: ٢٨).
٢. لتحقيق الوحدة: «لذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (تك٢: ٢٤).
٣. استمرار التمتع بالعلاقة الزوجية: «افْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ، الظَّبْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الزَّهِيَّةِ. لِيُرْوِكَ ثَدْيَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكَرْ دَائِمًا» (أم٥: ١٨، ١٩). وفي العهد الجديد نقرأ في (عب١٣: ٤) «لِيَكُنِ الزِّوَاجُ مُكَرَّمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللهُ».

المقاييس الإلهية:

في أوقات مثل التي نعيشها الآن كثير من الناس مخدوعون بأكذوبة ''الجنس الآمن'' فليس هناك مثل هذا في نطاق العلاقة الزوجية. ومقياس الله ومعياره هو حفظ الشباب عن أية علاقة جنسية حتى يحين الزواج. أما المتزوجين فمقياسه لحمايتهم في أمن وطهارة هو أن يبقى كل منهم أميناً للآخر.

هناك أفكار كثيرة في موضوع الطهارة الجنسية يطرحها العالم أما ما يقوله الرب فمن الأهمية بمكان لأن كلمة الله هي الحق (يو١٧:١٧) وإنني أدعوك –عزيزي القارئ– أن تقرأ بإمعان هذه التحريضات الأربع:

- «أَنْ تَمْتَنِعُوا عن.....، وَالزِّنَا» (أع١٥: ٢٩) وهنا فالامتناع مرتبط مباشرة بعملنا الجيد والأفضل.
- «لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا» (١تس٤: ٣) وهنا فالامتناع مرتبط مباشرة بقداستنا أي موقفنا أمام الله.
- «فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ» (كو٣: ٥) وهنا فالزنا مرتبط بخطايا أخرى وبصفة خاصة عبادة الأوثان أي السجود المزيف لإله الجنس.

توفير وسائل المحافظة الإلهية:

هناك آثار خطيرة تترتب على النشاط الجنسي خارج نطاق الزواج تتضمن الجريمة، الوهن، الكآبة، اللقطاء، السقط، بالإضافة إلى أمراض نفسية وأخرى تهدد حياة الفرد ومن حوله، و آلام تصاحب الحياة حتى الموت، ذكريات مخيفة، وأمراض مميتة.

إننا من ذواتنا وبأفضل وسائل الاحتياط لا يمكننا أن نبقى في عفة. إلا أن الله بيّن محبته بموت فادينا الرب يسوع لأجلنا والروح القدس الساكن فينا الكلمة التي تهدينا والشركة مع المؤمنين؛ إنها وسائط تعيننا جيداً. وبينما هناك –كما سبق ورأينا– نتائج وآثار خطيرة جداً للزنا، إلا أنه توجد طريقة واحدة اليوم للطهارة الجسدية ألا وهي الإيمان والطاعة لكلمة الله فيما يتعلق بالقداسة.

معونة الله الأكيدة:

هل تشعر أنك محبط وبلا أمل فيما يتعلق بزلة وقعت فيها؟ هناك رجاء لك وفيما يلي أضع أمامك ثماني اقتراحات تعينك على نوال وصيانة الطهارة:-

١. لا تستكبر بل أعترف بخطاياك للرب يسوع (١يو١: ٧-٩).
٢. توقف عن الاستغراق في الأفكار الجنسية وأحفظ قلبك نقياً في مخافة واحترام الله.
٣. أعلم وتأكد أن النصرة على تجربة الزنا تتطلب منك اليقظة الدائمة.
٤. داوم على الصلاة يومياً ليمنحك الرب النصرة على الزنا.
٥. أطع كلمة الله بمعونة الروح القدس.
٦. تحاشى الأمور التي تقودك للأفكار الدنسة ولا تستسلم لها.
٧. كن قوياً وحارساً أميناً لنفسك من خطية الزنا.
٨. أبحث عن مؤمن صديق لك لمشورتك ومعاونتك.

إنك بمعاونة الرب لك تستطيع أن تبقى طاهراً وسط عالم ملوث بالشر.

موضوع العدد (٢) بقلم: البرت ستورت

الطهارة ممكنة

«لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ.» (١تي ٤: ١٢)

======

إننا في أيامنا هذه نعيش وسط عالم مليء بالنجاسة والفجور والدنس. وهذا واضح فيما نتخذه من احتياطات بأقصى ما يستطيع لحماية النشء: ألا وهم أولادنا. فمثلاً في كافة وسائل الإعلام نقرأ ونسمع عن أن مشاهد أفلام معينة قاصرة على البالغين دون صغار السن لما يحتويها من ألفاظ أو مناظر ضارة لهم. كما وتتاح أجهزة ''الريموت'' وهي للتحكم وضبط القنوات مما يتيح للوالدين إلغاء مشاهدات قنوات بذاتها حماية للأطفال.

إن محاولات تشجيع لبعض مظاهر الفضيلة في عالم لا أخلاقي؛ تلك المحاولات عديدة. إلا أن الله بقى واضحاً في هذه النقطة فهو يريد شعبه أن يظهروا القداسة والطهارة. إنها صميم المبدأ الكتابي لحياة المؤمن. وحينما غسل السيد أقدام التلاميذ (يو١٣: ٢-٢٠) فقد فسر بأن المؤمنين تتلوث أقدامهم خلال حياتهم في هذا العالم. فبالإضافة إلى الأعداء فهناك الكثير الذي يثير غبار الدنس: ألا هو العالم والشيطان بالإضافة للطابور الخامس فينا: الجسد والخطية التي ورثناها من آدم (رو٧: ٥، غل٥: ١٩-٢١) وعلى الرغم من أن إلهنا يطالب بالقداسة إلا أنها ضرورية وممكنة أيضا (١بط١: ١٤-١٦، ١تي٤: ١٢).

المجتمع الملوث:

في صلاته السامية لأبيه قال الرب يسوع على مسمع من تلاميذه «لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ. قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق» (يو١٧: ١٦، ١٧).

إن الرب أتم مشيئة الآب حينما مات على صليب الجلجثة ليدفع أجرة خطايانا وقام وصعد إلى السماء. إلا أن التلاميذ بقوا على الأرض ولهذا صلى لأجلهم «لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ» (يو١٧: ١٥). ولازلنا نعيش في عالم مليء بالخطية.

بينما نعيش في هذا العالم نتلوث به إذ نقرأ في (١يو٢: ١٦) «أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ» فيوحنا يكتب عن عالم يعمل بواسطة الشهوة والإرادة الذاتية وعلينا أن نعبر خلاله في هذا النظام فإن بعض السلوكيات الخاطئة تصبح قاعدة. وبينما كثير من المخادعين الذين يظهرون ويعملون في النجاسة والفجور إلا أن إلهنا يدعونا للحياة في مستوى أسمى وأعلا.

والرسول بولس يشجع الشاب تيموثاوس ليحيا حياة الطهارة «لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ.» (١تي ٤: ١٢). وبالرغم من أنه يعيش في عالم مليء بالشهوة والتلوث فإنه كان عليه أن يكون مختلفاً. فكلامه يجب أن يكون نقياً خالياً من كل دنس. وتعبيراته للبناء وليست للهدم. وتصرفاته صدى لطهارته فاتجاهاته في مجموعها صالحة بالرغم مما كان يحيطه حسب الطبيعة. كان عليه أن يثبت إيمانه فتكون تصرفاته أمام أخوته القديسين وأمام العالم تتميز بالطهارة.

والرب ينتظر منا نفس الشيء في حياتنا اليومية. فعلينا أن نظهر ونعلن طهارتنا وسط هذا العالم الملوث. فلنا المصادر المحلية للمؤمنين. ويجب علينا أن نستخدم كل منها إن شئنا أن نكون أمثلة ناصعة ولامعة للطهارة. فمثلاً يجب أن تكون تعبيرات كلامنا خالية من أية كلمات بذيئة تخرج من أفواهنا، بل «لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ» (أف٤: ٢٩). في عالم دنس وكاذب يغالي في تملقه وانتقاداته بلغة جارحة يجب على المؤمن أن يتميز بلغة تبني لا تهدم، وفي النهاية يكون سلوكنا نقياً خالصاً من كل شائبة. ويستطيع الروح القدس أن يسيطر على تلك المجالات إن كنا ندعه يعمل فينا، فهو ساكن فينا (يو١٤: ١٦، ١٧) ومدعون أن «نمتلئ به» (أف٥: ١٨) وإذا كان يسيطر تماماً يتغير سلوكنا ونكون أكثر شبهاً بالمسيح (غلا٥: ١٦-٢٦) ولا نعود نشبه العالم.

تتضح القداسة في حياتنا خلال عبورنا في الطريق الذي نفضله ونحبه. إن الكثير من المحبة في العالم تسودها وتقودها الغرائز النفسية. بينما نجد الاختلاف عن ذلك واضحاً في الحياة المسيحية فنحن نقرأ أن «الله محبة» (١يو٤: ٨) فسلوكنا يجب أن يتميز بمحبة الله التي تمجده من جهة وتنشئ رغبة وإرادة صالحة لدى السامعين والذين يشاهدون سلوكنا. وأعلن لنا الرب –له المجد– قوله «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض» محبة للجار – الصديق– (مت١٩:١٩) محبة للأعداء (مت٥: ٤٤) محبة للعائلة كما في (أف٥: ٢٢–٣٣، ٦: ١–٤) ومحبة لله (مت٢٢: ٣٧) وتتمثل نقاء محبتنا في احترامنا لوالدينا وعند الزواج نختبر العلاقات الحميمة مع أزواجنا وزوجاتنا، فلنصلِ لأعدائنا ونُظهر لهم أعمال الرحمة وليس هناك طريق أفضل لتقديم مُثل القداسة والنقاء عن أن نعيشها عمليا. «كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم» (تي١: ١٥).

التلوث بسبب الخطية الطبيعية:

أختتم بولس خطابه للفليبيين بهذه الكلمات «أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَق، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ، إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هذِهِ افْتَكِرُوا» (في٤: ٨) ويالها من مجالات مختلفة مدعوون لنفتكر فيها. إنها رغبة السيد كيف ننقي أذهاننا.

إذا كان الأمر – كما يقول البعض – حقيقياً بأننا دائماً نفكر في أمور نريد أن نحققها خلال تفكيرنا الجاد إذ أن العالم من حولنا يضع ضوابط لما نفكر فيه. فالإعلام ينجز الكثير دون توقف مما نراه أو نسمعه. ومعظم الإعلانات تلوث أذهاننا وتركز على ذواتنا. ومن الجهة الأخرى فإن بولس يحثنا أن نستثمر طاقاتنا الذهنية في مجال الأمور الروحية وكل ما ذكره في (في٤: ٨) يعلن عن المسيح. إن الله يريد أن ترتبط أذهاننا بشخصه المعبود.

إلا أن هناك عائق عظيم يحول دون نقاء تفكيرنا؛ ألا وهو الطبيعة الآدمية (رو٣: ١٠، ٢٣) يمكننا أن نبدو وكأننا نحيا حياة نقية بينما أفكارنا متورطة فيما هو مدنس. وفي (مت٥: ٢٨)

يلفت نظر الجموع بأن الزنا قد يحدث في القلب «كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» وهذا ما يؤكد ما سبق ذكره؛ ألا وهو قد يكون مظهرنا الخارجي حياة النقاء بينما نكون كل الوقت نمارس الزنا في قلوبنا. وفي أوقات أخرى نبدو كساجدين بينما يكون هناك شيء في القلب ضد أخي (مت٥: ٢٣، ٢٤). وقد ذكر الرب سبع ويلات للفريسيين في (مت٢٣) منها اثنتان تتعلقان بالمظهر الخارجي «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَة» (مت٢٣: ٢٥) وأيضاً «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِل مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ.» (مت٢٣: ٢٧). هذه الويلات التي وجهها الرب للكتبة والفريسين نحن بسهولة نقترفها روحياً. أن الرب يسوع يريد منا طهاة حقيقية وليس أن نلهو بهذه الحقائق.

إن سر طهارة الفكر نجده جلياً في الرب يسوع –له المجد– ومن ناحيته نجد بولس يقرر لنا أننا يجب أن نكون «مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠: ٥) ونحن في حاجة أن نطلب من الرب أن يحفظنا من الأفكار العالمية والجسدية أيضاً ولا نتخذ في ذلك مواقف وسط ولنعلم أن أية مقاومة لنقاء الفكر تأتي عبر منفذي العين والأذن. ونستطيع أن نتحكم فيها. وإرادة الله الآب هي أن نكون مشابهين صورة ابنه (رو٨: ٢٩). والرب يسوع يوَّلد فينا الإرادة لإنشاء النقاء من دواخلنا. ويذكرَّنا الكتاب المقدس أننا نستطيع أن نحيا بقوة عمل الروح القدس ونثمر ثمر الروح. وإذا أخضعنا ذواتنا للرب فسيرى العالم فينا التعفف الحقيقي (غلا٥: ٢٢-٢٦).

التعفف في الثقافة العالمية:

نعيش وبين جنبينا ثقافة عالمية. وقد اختزلت التكنولوجيا العالم إلى قرية صغيرة لكل فرد نصيب فيها. وكم سمعنا قصصاً أو أخباراً عن بلاد بعيدة آلاف الأميال تحل في حجرة المعيشة وأماكن الحيوانات والمكاتب الفخمة عبر التليفزيون والإنترنت. إلا أن هذا التقدم حمل في طيه دنس العالم إلى بيوتنا. وأحاط بنا كل صنوف النجاسة والزنا والقسوة والهوى وللمؤمنين مصادر روحية وامتيازات خاصة لإعلان قداسة الله في العالم. وبالحقيقة فهذه دعوتنا وواجبنا أيضاً. لدينا أمر شرعي من الله ومنحنا المصادر الروحية أيضاً. إن الطهارة والعفة ممكنة.

موضوع العدد (٣) بقلم: مارتن جيرار

أحفظ نفسك طاهراً في عالم مُدنس

«اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا؟ مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَتِرَةِ أَبْرِئْنِي. أَيْضًا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ أحفظ عَبْدَكَ فَلاَ يَتَسَلَّطُوا عَلَيَّ. حِينَئِذٍ أَكُونُ كَامِلاً وَأَتَبَرَّأُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ» (مز ١٩: ١٢، ١٣)

=====

وصلت مجموعة من الزائرين لأبواب منجم للفحم وأعدت لهم إدارة المنجم جولة بالموقع؛ واستمتعوا بمعرفة معلومات عن العمل بالمنجم. وإذ بدأوا الجولة شد انتباههم وجود مزروعات ناصعة البياض كانت تنموا في مدخل المنجم. وتعجبوا كيف تلك النباتات الزاهية الموجودة يانعة وسط بيئة يملأها أتربة الفحم التي كانت تثيرها الرياح دائماً من حولها. وإذ لاحظ ذلك مندوب الإدارة الذي كان يرافقهم في زيارتهم أخذ ملء قبضته من تراب الفحم ونثرها على النباتات – ولدهشتهم – فلم تلتصق ولو ذرة واحدة من ذلك التراب بتلك النباتات. وفعلوا بأنفسهم ما فعله دليلهم ولم تتأثر النباتات إطلاقاً بتلك الأتربة ولم تستقر ذرة واحدة منها على أوراق تلك النباتات الناصعة.

وفي زيارتهم هذه لم يتعلموا فقط عن العمل بالمنجم فقط بل اكتشفوا ما أثارهم عن عالم النبات. وبالنسبة لنا نحن المؤمنين، فإن تلك الحادثة تطرح أمامنا أموراً عظيمة فنظير ذلك النبات، فإننا نجد أنفسنا نعيش وسط عالم مدنس على نحو متزايد. والشر يضرب أطنابه وكل من حولنا بأحاديثهم وأعمالهم يثيرون الغرائز البشرية ونحس نحن المؤمنين بأن تلك المصادمات ذات التأثير الدنس غالباً ما تكون مقاومتها شاقة. بينما تحرضنا كلمة الله أن نحفظ أنفسنا «بلا دنس من العالم» (يع١: ٢٧) وكم نستطيع أن نحتفظ بالنقاء نظير النبات الأبيض خارج منجم الفحم؟

إن غرض الله هو أن يبقى أولاده ناصعين وفي نقاء وسط عالم مُلوث. وفي رسالته لابنه تيموثاوس حرّضه الرسول بقوله «أحفظ نفسك طاهراً» (١تي٥: ٢٢). وقال لأهل تسالونيكي «لأَنَّ

هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا» (١تس٤: ٣). إن الله قدوس وهو يريد أن نكون قديسين (١بط١: ١٦) وعملياً يجب أن نتجنب كل ما هو غير مقدس فنكرمه.

علامات تحذير:

هناك تحذيرات كثيرة تتعلق بالفجور في الكتاب. ففي سفر الأمثال ينصح سليمان ابنه أن يحفظ نفسه من الفسق والمرأة الأجنبية المتملقة بشفتيها (أم ٥، ٦) والتحذير الصارم نجده في القول «أَمَّا الزَّانِي بِامْرَأَةٍ فَعَدِيمُ الْعَقْلِ. الْمُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ» (أم٦: ٣٢) ويذهب العهد الجديد إلى أبعد من ذلك حيث نقرأ في (عب١٣: ٤) «وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللهُ».

ويذخر العهد القديم بأمثلة تنبهنا للطريق التي زل فيها الكثيرون. ففي الحادثة الحزينة التي نقرأها في (٢صم١١) تبدأ بالملك داود وقد بقى في أورشليم يستمتع باسترخاء بينما الجيش محتدم في معركة حربية. ومن سطح قصره رأى امرأة جميلة وبالرغم من أنه أُخبر بأنها متزوجة واندفع في طريقه الشائك وأخذ بشبع واضطجع معها. ويصف باقي الاصحاح مدى ما تمادى فيه لإخفاء خطيته وفي الاصحاح التالي نجد أن الرب يتهم عبده بخطيته الأمر الذي يمثل المرحلة الأولى لرد نفس داود.

لم تمضِ حادثه بل خطيئة داود مروراً عادياً إذ أن صداها بدا في وقوع مزلزل لخطيئة بشعة لصيقة بالأسرة ذاتها. فابنه أمنون استبدت به شهوة جسدية مع ثامار – أخته غير الشقيقة – وإذ لم يستطع أن يخمد تلك الشهوة؛ فقهرها واضطجع معها وبعد ذلك أصبح مبغضاً لها أشد من محبته لها ابتداءاً لم يحصَّل آمنون أية مسرة لخطيئته التي وقع فيها.

وإذ نستمر في التاريخ فإننا نجد الكثير من الحياة المحطمة على طريق عدم التحكم الجدي لتلك الشهوة الجسدية الجامحة.

غرض الله:

في البداية خلق الله رجلاً واحداً ومنه أوجد المرأة. ثم قصد أن الرجل يجب أن يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويصبح جسداً واحداً معها بالزواج (تك٢: ٢٤) وأعلن الرب يسوع حينما كان بالجسد بأن ذلك المبدأ الإلهي لم يبطل (مت١٩: ٤-٦) والعلاقات الجنسية خارج الزواج خاطئة سواء كان الزنا بين غير المتزوجين أو كان ذلك بين أحد الزوجين أو هما معاً يكسران رباط الزواج بل أن العلاقات الجنسية بين اثنين من جنس واحد محرمة في كلمة الله (١كو٦: ٩، ١٠) وغرض الله الثابت لا يتبدل ألا وهو أن الرجل وامرأته يخضعان لبعضهما البعض في إطار الزواج طوال حياتهما ويعلمنا الكتاب المقدس بأن العلاقات الجنسية يجب أن تُحفظ في إطار تلك العلاقة المقررة في صورة فريدة.

أهرب:

كانت كورنثوس مدينة وثنية وخليعة وكثير من المؤمنين هناك تخلصوا من حياة الخجل والعار (١كو٦: ٩-١١) وخلال عمل الروح القدس جاءوا إلى الله وملكوته وأصبحوا أعضاء في المسيح وفي ضوء ذلك شرح بولس بأن أجسادهم الآن هياكل للروح القدس يتمجد فيها الله. وكل من يزني يخطئ إلى جسده ولهذا يحثهم بأن «أهربوا من الزنا» (١كو٦: ١٥-٢٠) واللفظ الذي يستخدمه بولس هنا يعني هروب مَن لا يمكن الإمساك به وتصَور –عزيزي القارئ– مَن هو في خطر ويحاول الهروب للنجاة لحياته. فإن كنت في مثل هذا الموقف فإنك لا يمكن أن تمكث فيه طويلاً، بل تهرب بكل ما أوتيت من قوة.

دعنا – عزيزي القارئ – نتأمل شخصية يوسف، إذ باعه أخوته ووجد نفسه في موقف الثقة والمسئولية معاً في بيت فوطيفار في مصر. ورأته زوجة فوطيفار جميلاً فمالت إليه وأرادت أن يضطجع معها إذ أن زوجها خارج البيت وليس هناك أحد سواهما. ولم يستجب لها يوسف في إباء. إذ رأى ذلك خطية ضد الله وإذ ألحت عليه يوماً فيوماً لتمسك به ليضطجع معها فإنه هرب (تك٣٩: ١-١٢).

وحينما تواجهنا التجربة الجسدية فمثل يوسف يجب أن نهرب منها. والشباب غالباً يواجهون الرغبات الجامحة ونظيرهم أخبره بولس «أما الشهوات الشبابية فأهرب منها» (٣تي٢: ٢٢) وكيفما يكون الأمر فليس فقط الشباب معرضون للهجوم. وإن كنا نظن أننا نقف ثابتين فعلينا أن نحترس لئلا نسقط (١كو١٠: ١٢) بل أيضاً أن نحفظ أنفسنا في محبة الله (يه٢١) وهذه مسئولية عظيمة إلا أننا لسنا نحفظ بقوتنا الشخصية. فالمعونة الإلهية في متناولنا ويخبرنا الكتاب المقدس بأننا محفوظين أيضاً «بقوة الله» (١بط١: ٥).

المعوقات:

هناك مقولة قديمة بأنك لا تستطيع أن تمنع الطيور من أن تحوم حول رأسك لكنك في نفس الوقت تقدر أن تمنعها أن تعشعش في شعر رأسك. ستأتي التجارب وحاجتنا ألا نخضع لها. وهناك خطوات إيجابية علينا أن نخطوها حتى لا يسهل علينا السقوط فيها.

«فوق كل تحفظ أحفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة» (أم٤: ٢٣) لذلك احترس مما تسمح به لينشغل به القلب والذهن. فامتنع عن مشاهدة الأمور التي لا تمجد الله. وعليك أن تهتم بما سجله الوحي في (في٤: ٨) لناظريك وتأكد أنك تنظر وتهتم فقط بكل ما هو حق، جليل، عادل، طاهر، مسر، كل ما صيته حسن. لا تسمح بما هو دنس يقيم بفكرك.

كان ملك في قديم الأيام أراد تعيين من يقود عربة الخيل لديه مؤهلا تأهيلاً جيداً في القيادة. تقدم لتلك الوظيفة ثلاثة رجال كانوا بمثابة الأفضل في مملكته ووضع لهم اختباراً عملياً في القيادة. وعيَّن لهم مكان البداية حيث الطريق متسع يصعد على جبل عال لمسافة ألف قدم وينتهي بمنزل شديد الانحدار وسأل كلاً منهم أن يسلكوا هذا الطريق الوعر. حاول الاثنان منهم أن يبهروا الملك بمهاراتهم في القيادة وبأقصى سرعة اتخذ كل منهما طريقاً قريباً من الحافة. أما الثالث فقاد العربة بسرعة ولكن بعيداً عن حافة الجبل ووقع اختيار الملك عليه ليكون سائقه الخاص. والدرس المستفاد من ذلك ابتعد بقدر ما تستطيع عن أماكن الخطر فلا تخاطر وتجنب التجربة ولا تلعب بالنار.

مذنب؟

إن بعض من يقرأ هذا المقال يحس بالمذنوبية وقد تكون وقتاً ما متورطاً في زنا أو حتى نجاسة، وتدرك بأن الله لا يسر بما تفعل، فهل هناك أمل لديك؟ نعم؛ هناك. ويقول الوحي «من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يُرحم» (أم٢٨: ١٣) إنك لا تستطيع أن تخفي خطاياك عن عين الله الفاحصة لكل شيء. فإن اعترفت بها له وتحولت عنها فستنال غفرانه. ولابد أن الاعتراف يكون صادقاً وقوياً وأن تتخلى وتبتعد عن أية علاقات آثمة. لقد تاب داود بصدق وتمتع بفرح الغفران ليس بدافعه الشخصي بل بالله في غفرانه بالنعمة (مز٣٢: ١) إنك تستطيع أن تكتشف نفس الغفران.

يوما – وهو قد دنا – ستخلص الكنيسة وإلى الأبد من عالم دنس ويُحضرها المسيح «كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك» (أف٥: ٢٧) وكانت رغبة بولس أن يكون مؤمني كورنثوس مقدمين «عذراء عفيفة للمسيح» (٢كو١١: ٢) وإذ نتوقع لحظة مقابلة عريسنا السماوي يجدر بنا اقتباس صلاة داود الصادقة والمتضعة في (مز١٩) وإذ ندرك حاجتنا الماسة فلنطلب عمل الرب فينا اليوم للتطهير والحفظ.

الطريق إلى الطهارة

في عالم ملوث أدبياً، مع تزايد تقدمه العلمي المذهل؛ يتزايد تدهور الأخلاق المفزع، يأتي السؤال: كيف يتمتع إنسان القرن الواحد والعشرين بحياة الطهارة روحاً ونفساً وجسداً وسط التحديات المرعبة التي تحيط به من كل اتجاه؟

الواقع أن التلوث "الخارجي" مصدره الأساسي ومنبعه العميق هو قلب الإنسان "الداخلي". وبالتالي فإن التذرع باستحالة حياة الطهارة وسط الملوثات الخارجية هو خداع من القلب البشري النجيس ليس إلا. لقد علمنا المسيح أن ما ينجس الإنسان فعلاً ليس ما يدخل (من الخارج) إلى جوفه، بل ما يخرج (من الداخل) من قلبه هو! (متى١٥: ١١).

وعليه فإن نقطة البداية ينبغي أن تكون معرفة أين يكمن الداء، حتى يمكننا التوصل إلى صحيح الدواء!

إن علة النجاسة هي قلب الإنسان «لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَة» (مرقس٧: ٢١). و«اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟ أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى لأُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ» (إرميا١٧: ١٠). وهذه الحقيقة تفسر لنا كيف أن هناك من عاشوا في أقدس الأماكن والأجواء (بيت الرب وخيمة الاجتماع) وكانوا في قمة الفساد الأدبي (نظير أولاد عالي الكاهن) (صموئيل الأول ٢: ١٢). أما الذين تمتعوا بنقاوة القلب "الداخلية" فهم على العكس، رغم عيشتهم "الإجبارية" في أوساط ملوثة أخلاقياً (كبيت امرأة فوطيفار بالنسبة إلى يوسف، وكقصر ملك بابل بالنسبة إلى دانيال وأصحابه) فقد اختبروا في دواخلهم حياة الطهارة والنقاوة بكل معنى الكلمة!

والسؤال: كيف يتطهر القلب النجيس؟ ليس سوى دم المسيح وخلاصه العظيم ذاك الذي دعا منذ القديم : «يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ» ثم بعد ذلك «وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي» (أمثال ٢٣: ٢٦) .

ليتك تسلم قلبك وكيانك الداخلي إليه الآن، بالتوبة عن الخطية والإيمان بكفارة شخصه وكفاية صليبه لتحريرك وتقديسك لتختبر عندئذ – وعندئذٍ فقط – معنى حياة الطهارة والنقاء.

القوة الروحية

. الفرح الحقيقي

هناك ارتباط وثيق بين الفرح في الرب، وبين القوة الروحية. قال نحميا قديمًا للشعب «ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم» (نح٨: ١٠). وهذا عين ما اختبره حبقوق في أسوأ الظروف التي أحاطت به «فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم، يكذب عمل الزيتونة، والحقول لا تصنع طعامًا. ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي». والنتيجة – نتيجة فرحه بالرب نفسه – «الرب السيد قوتي ويجعل قدميَّ كالأيائل ويمشيني على مرتفعاتي» (حب٣: ١٧-١٩). أي أن:

أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي ← تؤدي إلى ← الرب السيد قوتي.

وهذا نفس ما اختبره الرسول بولس وهو في سجنه عندما قال «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا افرحوا» ثم يتبع ذلك بالقول «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في٤: ٤، ١٣).

لكن لنتذكر أن هذا الفرح الروحي، في الرب نفسه، يختلف تمامًا عن الفرح الطبيعي أو النفسي. فبينما يعتمد الفرح الطبيعي على الظروف الجيدة ونجاح الشخص وتوفيقه، فإن الفرح الروحي لا يعتمد على أي من ذلك، بل أنه فرح رغمًا عن الظروف، وليس بسبب الظروف. إنه الفرح الذي كتب الرسول لإخوة مؤمنين بالمسيح حديثًا في تسالونيكي قائلاً لهم: «قبلتم الكلمة في ضيق كثير. بفرح الروح القدس» (١تس١: ٦). لاحظ أن الضيق الكثير لم يمنع فرح الروح القدس الذي لا يعتمد قط على الظروف بل هو يتوقف فقط على وجود المؤمن في علاقة صحيحة وشركة قوية مع الرب.

والجدير بالذكر أن هذه النقطة مرتبطة جدًا بالنقطة السابقة (التغذي على شخص المسيح بالإيمان). فالشبعان أولاً، هو شخص فرحان ثانيًا كنتيجة طبيعية. وكلمة الله تؤكد ذلك الفكر. فيقول المرنم في مزمور ٦٣: ٥ – على سبيل المثال – «كما من شحم ودسم تشبع نفسي» فماذا كانت النتيجة؟ «بشفتي الابتهاج يسبحك فمي». فكلما شبعنا بالرب وبكلمته، كلما اختبرنا الفرح الروحي المؤدي إلى القوة الروحية.

لقد بدأ حبقوق متحيرًا متسائلاً (ص١)، ثم طالع كلمة الله النبوية (ص٢)، فختم نبوته فرحًا مرنمًا (ص٣). وهذا ما حدث مع تلميذي عمواس، فبعدما كانا ماشيان عابسين، جاءت كلمة الله عن شخص المسيح لتنهي رحلتهما بالفرح. وذات الأمر تكرر مع الخصي الحبشي، الذي جعل من كلمة

الله رفيقه، فختمت رحلته بالقول «ذهب في طريقه فرحًا» (أع٨: ٣٩). إن الطريق إلى الفرح الروحي الحقيقي هو: المسيح؛ الكلمة المتجسد، وكلمة الله الكلمة المكتوبة.

٦. المعرفة الصحيحة

يقول الحكيم «الرجل الحكيم في عز (قوة). وذو المعرفة متشدد القوة» (أم٤: ٥). فمعرفة شخصه، ومشيئته من خلال الكلمة، والشركة ضمان لحياة القوة.

إن المعرفة الصحيحة مصدرها الوحيد هو الرب وكلمته. والشخص ذو المعرفة يسلك بخطوات ثابتة في كل طرقه، ويكون فعلاً «متشدد القوة» خلافًا لمَنْ لا يمتلك المعرفة الصحيحة، والذي لا يدري إلى أين تقوده خطواته، وهو غير متأكد من صحة مسلكه، ومتقلقل في جميع طرقه، ومتزعزع لا يقف على أرض راسخة من جهة تيارات فكرية جامحة تدفعه هنا وهناك، «محمولين ومضطربين بكل ريح تعليم» (أف٤: ١٤). إن المعرفة التقوية الصحيحة شيء هام جدًا لحياة القوة. وهذا أحد الأسباب القوية التي تدفعنا للتأكيد على حتمية دراسة الكتاب المقدس. وأهمية خدمة التعليم والمعلمين في كنيسة الله.

على أن المعرفة وحدها لا تكفي.. بل لابد وأن تقترن بالحكمة أيضًا. والحكمة في أحد تعريفاتها أنها التطبيق العملي للمعرفة الذهنية الصحيحة. والمؤكد أن التعليم الصحيح هو وحده الذي يؤدي إلى السلوك الصحيح. الرجل الحكيم في عز فعلاً، فهو يمتلك الحكمة السماوية النازلة من فوق، وليس الحكمة الأرضية النفسانية الشيطانية.

إن وجودنا عند قدمي الرب، دارسين لكلمته بإخلاص واجتهاد، هي طريقنا إلى المعرفة الصحيحة. كما أن وجودنا في عرش النعمة بروح الصلاة المتضعة، طالبين من الرب أن نطيع ما نتعلمه في أذهاننا ليتحول واقعًا في سلوكنا هو طريقنا إلى الحكمة الحقيقية. وهذا يؤدي أن نعيش كمؤمنين – فعلاً – «في عز»؛ أي في قوة!

شخصيات بقلم ف.ب.ماير

حياة داود

وجهة نظر داود من حيث المملكة:

في كل تصرفاته وحركاته في هذه المناسبة، نجد جمالا رائعاً، يدل على أن نفسه قد عادت تماماً إلى علاقته بالله. واستأنفت وجهة نظرها السابقة نحو انتظار الله وحده ووضع كل ثقتها فيه، لا سواه، وتوجيه كل آمالها نحوه. لقد وثق بأن الله وحده الذي يمنحه المُلك ولذلك رفض أن يتخذ خطوة واحدة نحو العرش، دون إرشاد الله المباشر.

ومما يجدر بنا ملاحظته بكل اهتمام، موقفه في الوقت الذي كانت توجد هنالك عدة بواعث تلزمه بسرعة التصرف، فإن الفلسطينيين كانوا قد خربوا المملكة، ولعله لم تكن هنالك حكومة مستقرة في الأسباط الشمالية، في السنوات الخمس التالية، ثم أنه لم يكن هيناً على نفسه –وقد كان قلبه يفيض محبة لبلاده– أن يقف مكتوف الأيدي، دون أن يجمع شتات إسرائيل، ويبطش بالعدو. وفوق ذلك، فإنه كان يدرك، أنه هو الملك المعين من قبل الله، وكان أمراً طبيعياً، أن يعتلي العرش فوراً، ويمسك صولجان المُلك، كحقه الشرعي، ولعله لم يكن ممكناً لأحد، أن يعترض على خطة حازمة كهذه. وربما كان أبنير قد أعيته الحيل، فأحجم عن تنصيب إيشبوشث في محنايم، وهكذا نرى، أن داود قد تنازعته عدة عوامل، وأفكار بشرية، ولكنه لم يسلك حسب مشورة الجسد، بل حسب مشورة أسمى. لم يحكم حسب نظرة العين البشرية، بل سأل الرب قائلاً: «أأصعد إلى إحدى مدائن يهوذا؟»، ويظهر أنه عندما أرشده الله للصعود إلى حبرون، لم يذهب إليها كملك، أو قائد، بل أقام بكل هدوء وسكن، مع أتباعه، وسط المدن والقرى المجاورة، منتظراً حتى أتى رجال يهوذا، واعترفوا به ملكاً بكامل الرضى والارتياح، ثم مُسح بالزيت للمرة الثانية.

لقد مُسح أولاً، على يد صموئيل، في بيت أبيه، خفية، ومُسح الآن، ملكاً على شعبه، كما أن الرب يسوع – الذي كان داود ممثله ورمزه الأعظم – مُسح أولاً عند شاطئ الأردن، ثم مُسح ثانية، كممثل لشعبه، حين صعوده إلى السماء، في حضره أبيه، وأقيم ملكاً على صهيون، جبل قدسه.

وقبل أن نختم حديثنا عن هذه المسحة الثانية، لابد من الإشارة إلى هذا الدرس الثمين. الذي يجب أن نتعلمه، وهو: أننا قبل كل أزمة خطيرة في حياتنا، وخصوصاً؛ عندما نكون على وشك الدخول إلى دائرة خدمة جديدة أوسع، يجب أن نطلب، وأن ننال مسحة جديدة، لتعيننا لإتمام مطالبها الجديدة. يجب أن تكون هنالك مساحات متكررة في حياتنا كلما اتسعت دائرة الخدمة. من الخطأ أن نعتمد دواماً على مسحة سابقة قد حصلنا عليها في الماضي، بل يجب أن نُمسح بزيت جديد؛ عند ترك المدرسة إلى الكلية، عند ترك الكلية إلى الخطوة الأولي في خدمة ربح النفوس، عند بدء الحياة الزوجية، ثم عند بدء حياة الأبوة، أو الأمومة، عند الدعوة للخدمة العامة في الكنيسة أو في الدولة –كل خطوة جديدة يجب الاستعداد لها، بانتظار الله، وطلب قوة جديدة من الأعالي، امتلاء من قوة الروح القدس.

مميزات حكم داود في حبرون:

ملك داود على بيت يهوذا في حبرون، سبع سنوات وستة أشهر، كان في عنفوان القوة، إذ كان يبلغ من العمر ثلاثين سنة، ويظهر أنه حصر كل همه في الاستمتاع بحياة التقوى، والقداسة الكاملة، في بيته. وفي بدء الاصحاح الثالث، نرى إشارتين إلى الحروب الطويلة، التي قامت بين شاول وداود؛ وبين هاتين الإشارتين، دونت أسماء زوجاته (٢صم٣: ٢-٥).

في كل تلك السنوات، ظل داود محتفظاً بروح الانتظار، والرجاء في الله، التي كانت قد امتدت بها حياته بصفة مستمرة، والتي لم تفارقه إلا نادراً جداً. ونحن إذ نذكر أن الرب يسوع، جلس عن يمين أبيه، حتى يضع أعداؤه موطئاً لقدميه، نذكر أيضاً – نفس هذا المعنى- أن داود جلس عل عرش يهوذا في مدينة حبرون (ومعناها شركة أو صحبة)، منتظراً حتى ذلل الله كل الصعوبات، وأزال كل العثرات، ومهد الطريق إلى المجد الأسمى الذي وعده به، لم يشذ عن هذه القاعدة، إلا حينما طلب رد ميكال إليه، ولعله كان من الحكمة لكليهما، لو أنها تُركت لزوجها، الذي كان يبدو أنه كان يحبها محبة صادقة، ولكن؛ يظهر أن داود، وجد أنه من واجبه، الإصرار على حقه الشرعي، كصهر الملك السابق، سيما وكان قد عُرف عنه أنه صاهر البيت الملكي.

إذا استثنينا هذه الحادثة، نستطيع القول، أنه كان على الدوام، يسلك سياسة إيجابية، وعندما كان أمر يستلزم الحرب، كان يترك ذلك إلى يوآب. أما طلب نقل مملكة إسرائيل إليه بواسطة أبنير نفسه، الذي كان يعتقد لسنين طويلة، إنه يحارب الله. والذي قال أخيراً للملك (أشبوشث)، الذي أقامه، وعضده، وسانده، بأن ما حلف الله لداود، لابد أن يتممه، أي لنقل المملكة من دان إلى بئر سبع، ومن بيت شاول، إلى بيت داود (٢صم٣: ٩، ١٠). وتمت المفاوضات مع إسرائيل وبنيامين، بواسطة أبنير، بدون تدخل من داود مطلقاً. فإن أبنير هو الذي فاوض شيوخ إسرائيل، وتحدث في آذان بنيامين، وذهب أخيراً، ليتحدث في آذان داود، في حبرون، بكل ما حسن في أعين إسرائيل، وفي أعين جميع بيت بنيامين. وأبنير هو الذي أقترح لداود أن يذهب ويجمع إليه (إلى داود) كل إسرائيل وخاطبه على أساس أنه هو سيده، الملك، قائلاً له؛ أن يستعد ليملك، حسب كل ما تشتهي نفسه (ص٣: ١٧-٢١).

وسط كل هذه الإجراءات، لم يفعل داود شيئاً، سوى أنه يتقبل بهدوء، ما عرض عليه، ولم يحتد إلا في مناسبتين، عندما كان من الضروري أن يبرئ نفسه من جريمتين، ويظهر سخطه الشديد على ارتكابهما.

كان مظهراً نبيلاً جداً، عندما صار الملك وراء نعش أبنير، وبكى على قبره، لقد نسى أن هذا الرجل كان عدوه الدود، وذكر فقط أنه قائد كبير، ورجل عظيم، ونظم مرثاة بليغة، لتوضع على قبره، كما فعل عند موت شاول. ولا عجب إن كان كل الشعب يهتمون بهذا المنظر، الذي «حسن في أعينهم، كما أن كل ما صنع الملك، كان حسناً في أعين جميع الشعب».

بعد ذلك، تمت المأساة الدنيئة، وهي قتل إشبوشث، الذي لم يكن إلا ملكاً صورياً. كان هذا الملك ضعيفاً، وكان ملكاً هزيلاً، كان مقره في محنايم، على شاطئ الأردن الشرقي، ولم يكن إلا ملكاً اسمياً، وكانت تعزي كل قوته إلى أبنير، ولما قتل أبنير، انهار سلطانه، ثم قتله جماعة الخونة، وحالما وصلت الأخبار إلى داود، وحملت رأسه، علامة على قتله والتمثيل به، حول داود وجهه إلى الرب الذي فدي نفسه من كل ضيقة، وحلف بأن ينتقم لدمائه. كان جزاء العماليقي، الذي حمل خبر

موت شاول، والذي أكد، بأنه هو الذي قتله، أن حكم عليه بالموت. ولذلك؛ لم يكن ممكناً أن يلقى جزاء، أقل مما لقيه هذان الشريران، اللذان قتلا صديقاً في بيته، وعلى سريره (٢صم٤: ٥-١١).

من ثم جاء جميع أسباط إسرائيل إلى حبرون، وقدموا إليه تاج المملكة كلها، وتذكروا قرابته لهم، باعتبارهم عظمه ولحمه، وذكروا خدماته السابقة، عندما كان يخرج ويدخل جيوشهم، حتى حين كان شاول ملكاً عليهم، وذكروه بالوعد الإلهي؛ أنه لابد أن يكون راعياً ورئيساً. حينئذٍ قطع معهم داود عهداً، وصار ملكهم الشرعي ومُسح – للمرة الثالثة – ملكاً على كل الشعب، كما كان ابن الإنسان سوف يُعترف به – يوماً من الأيام – ملكاً على كل عالم البشر، ويملك بلا منازع.

ولا شك في أن المزمور الذي يشير إلى هذه الحقبة، هو (مز١٨)، الذي دون فيه أعمق عبارات الشكر والولاء، تحت كل اسم من أسماء الله الكريمة، تنطوي بركة خاصة به؛ ويا له من تعبير سام، كل السمو، إذ يصور الله آتياً مطأطئ السموات لتخليص عبيده. إننا نستطيع أن نستمع إلى صوت البركة، ونرى وميض البرق، وجمر النار، ولكننا، خلال كل ذلك، نستطيع أن نحس، برقة محبة الله، في كل تصرفاته مع أولاده، والتي تتبين في تلك الكلمات الجديرة بذلك النبي، الذي أحبه الرب.

«وَتَجْعَلُ لِي تُرْسَ خَلاَصِكَ وَيَمِينُكَ تَعْضُدُنِي، وَلُطْفُكَ يُعَظِّمُنِي» (مز١٨: ٣٥)

لآلئ من الكلمة بقلم: ف.ب.ماير

حياة صموئيل

(١صم ٤، ٥، ٦)

أن الكلمات المحددة في هذه الاصحاحات تتضمن جزءاً خطيراً من الكتاب المقدس، وتغطي نحو أربعين سنة وتفاصيل حياة صموئيل ونفوذه المتزايد يقدمها إلينا كاتب هذا السفر على أجزاء صغيرة جداً. لكن طريقة سرد الحوادث مشوقة جداً، ويجب أن يفهمها من يريدون أن تكون لديهم فكرة كاملة عن الخدمة العظيمة التي قدمها صموئيل لشعبه. وسوف يتضح ذلك أيضاً من العمل الذي أتمه، والعمل الذي نحن في أشد الحاجة إليه الآن.

كان ذلك العصر عصر تفكك وفوضى. فإنه بعد موت يشوع، وكالب وكل رجال ذلك الجيل «وَقَامَ بَعْدَهُمْ جِيلٌ آخَرُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ، وَلاَ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ لإِسْرَائِيلَ» (قض٢: ١٠). لم يوجد شخص واحد، أو سبط واحد قادر على أن يتحد الشعب تحت قيادة واحدة، أو يدعوهم إلى عبادة الإله الواحد السامية، عبادة رب واحد تلك العبادة التي ميزت مؤسسي أمتهم. كانت ربط وحدتهم الوطنية قد تفككت، وكل سبط، وكل مدينة كبيرة، مادت باستقلالها عن باقي الأسباط والمدن. وضعفت الحالة المعنوية في الحياة الوطنية. وحق عليهم هذا القول الذي يمثل تمام التمثيل عصر القضاة «كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ» (قض١٧: ٦، ٢١: ٢٥).

كان المركز الوحيد الذي يجتمعون حوله هو خيمة الاجتماع، وتابوت العهد ورئاسة الكهنوت. لكن حتى تأثير هذه ضعف جداً «وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ» (قض٢: ١١، ١٢).

لذلك لم يكن هنالك ما يمنع من اعتداء الأمم المجاورة عليهم. كان بنو عمون يغزون أرض الموعد من المشرق، والعمالقة والمديانيون من الصحراء، والفلسطينيين من الجنوب الغربي. وكان القضاة يقامون من وقت لآخر، لكن سلطتهم كانت وقتية، ومحدودة. وفي أغلب الحالات كانت هذه

السلطة تنتهي بموتهم، كما كانوا واسطة لإنقاذ ناحية واحدة من الأرض فقط «وَحِينَمَا أَقَامَ الرَّبُّ لَهُمْ قُضَاةً، كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي، وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلَّ أَيَّامِ الْقَاضِي، لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ بِسَبَبِ مُضَايِقِيهِمْ وَزَاحِمِيهِمْ. وَعِنْدَ مَوْتِ الْقَاضِي كَانُوا يَرْجِعُونَ وَيَفْسُدُونَ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِهِمْ، بِالذَّهَابِ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا وَيَسْجُدُوا لَهَا. لَمْ يَكُفُّوا عَنْ أَفْعَالِهِمْ وَطَرِيقِهِمْ الْقَاسِيَةِ».

تتصل روايتنا بصفة خاصة بالأقاليم الجنوبية والوسطى من أرض كنعان التي كانت خاضعة لنير الفلسطينيين القاسي، وبالرغم من أعمال البطولة التي قام بها شمشون، الذي عاصر صموئيل في أيامه الأولى. ويبدو أن الفلسطينيين اشتدت قوتهم جداً في ذلك الوقت بالإمدادات التي كانت تصلهم من مركز إمبراطوريتهم في جزيرة كريت المجاورة، ولهذا جعلوا حالة العبرانيين غير محتملة.

إنني أرى بأن تسلل هؤلاء الفلسطينيين من بلادهم ليتسلطوا على العبرانيين في الأرض التي أعطاها الله لهم ميراثاً، تلك الأرض التي لم يكن للفلسطينيين أي حق في امتلاكها، إذ كانت ملكاً للشعب المختار، إنما يرمز إلى أشياء كثيرة في اختباراتنا. فمثلاً يرمز إلى الرغبات الدنسة، والعادات الشريرة، التي تحررنا منها مرة بنعمة ابن الله المقام من الأموات، لكنها ربما تسللت إلينا في السنوات التالية لكي تعود فتتسلط علينا.

ثم هو يرمز أيضاً إلى هجوم روح العالم على الكنيسة، وروح الشر على الدولة. إن قوات الشر لن تهدأ. وكما أن عوامل التدمير والتخريب تعمل بصفة دائمة في تقويض أركان المنازل تدريجياً مع الزمن، في غرس الحشائش في حدائقنا ونحن نيام، هكذا الحال معنا، فإن الميول الشريرة في القلب، وفي الكنيسة، وفي الأمة، تحارب بصفة دائمة ضد ناموس الذهن، وتسبي الناس إلى ناموس الخطية (رو٧: ٢٣).

في المحاولات الوقحة التي تسعى لتسلب منا يوم الرب وتحوله إلى مسرات عامة، وفي عوامل الرذيلة، التي بلا حياء، وبأشكالها المختلفة، وفي محبة المال الجشعة التي تحاول أن تتسلط على كل مصالحنا، وفي المسرات العالمية التي هجمت على المجتمع، وفي روح العالم والتنعم التي

اقتسمت قلوب وحياة المدعوين مسيحيين مع الروحيات والسماويات –في كل هذه تواجهنا جحافل الفلسطينيين وهم يتسللون من مستواهم المنخفض إلى المستوى الروحي العالي.

ليس لهم أي حق في هجومهم، لكنهم لن يكلوا عن محاولة أثبات ادعاءاتهم. وفي بعض الأحيان نحن نكاد نيأس، ونظن أنه لا فائدة من مقاومتهم، ونقول: ''ما الداعي لهذا الصراع المستمر؟ أليس الأفضل أن نكف عن الصراع ونستسلم؟'' وفي أحيان أخرى نتحمس لبذل مجهود خطر نحو الحرية كما كان يفعل إسرائيل.

١. محاولة منحوسة:

«وَخَرَجَ إِسْرَائِيلُ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلْحَرْبِ، وَنَزَلُوا عِنْدَ حَجَرِ الْمَعُونَةِ[1]، وَأَمَّا الْفِلِسْطِينِيُّونَ فَنَزَلُوا فِي أَفِيقَ» (١صم٤: ١). من هذه الكلمات نستنتج بأن إسرائيل هم الذين بدأوا الحرب، لأن نير الفلسطينيين كان أمر من أن يحتمل. لكنه يكاد يكون مؤكداً أن الحملة كانت من البداية مشئومة، وأنه قد أسيئ تدبيرها.

سبق أن أعطى موسى إرشادات واضحة جداً عن كيفية بداية أي هجوم والاستمرار فيه (تث٢٠). لكن يبدو أنه لم يتبع أي جزء من هذه الإرشادات في هذه المناسبة. فلم يدع أي كاهن للسؤال عن فكر الله. ويبدو أنه لم يستشر حتى صموئيل الذي كان الشعب قد بدأوا يعترفون به أنه خادم الرب ونبيه. لقد كانت ثورة شعب مستعبد، مقترنة بروح الكراهية والانتقام من مستعبديهم، بسبب إهانتهم ، وتعذيبهم إياهم.

بمثل هذه الروح نحن في بعض الأحيان نثور على الخطايا القوية التي تتسلط علينا. لقد رأينا الخراب الذي كانت تجلبه علينا، وأغمضنا عيوننا عن الخزي والعار والإغاظة التي كانت تسببها للآخرين، لقد أحسسنا بامتهان كرامتنا وشرفنا، فحاولنا أن نهجم على معذبينا. لقد تعهدنا كتابة بالامتناع عن شرب الخمر، وأقسمنا أن لا نخضع قط للخطية المحيطة بنا، ونذرنا بأن نتحرر من كل عبودية. لكننا بعد أيام معدودة عدنا إلى حالتنا الأولى. ولم تكن حالتنا أفضل من حالة إسرائيل. لأن هذه الحرب ليست للأقوياء (جا٩: ١١).

---

(1) حجر المعونة حسب الترجمة

وإذ دعا الجنود الإسرائيليون بعجلة، دون أن يزودوا بالسلاح الكافي، فقد هُزموا هزيمة مخزية. لذا خر صريعاً في ساحة الحرب أربعة آلاف رجل (ص٤: ٢)، ودب روح الجبن والخوف في كل الصفوف.

هكذا تكون النتيجة دائماً عندما يسقط شعب الله إلههم من حسابهم وعندئذٍ يكون تأديبهم مكلفاً جداً وضرورياً جداً. ولذلك يسمح الله لهم بالتأديب مراراً وتكراراً، ويبعدهم عن الطرق الغير صالحة.

٢. <u>الالتجاء إلى التابوت للنجاة. دون الالتجاء إلى الله:</u>

في مساء ذلك اليوم المروع عقد شيوخ إسرائيل مجلساً حربياً (ع٣). واضح أن هزيمتهم كان يجب أن تعزى لضعف علاقتهم مع الرب. لذلك قالوا: «لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين». كانوا شاعرين بأنهم أسقطوا الرب من حسابهم، لذلك اعتزموا اتخاذ طريقة طيبة يلزمون بها الله ليقف بجانبهم ضد أعدائهم، فصرخوا «لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا ويخلصنا من أعدائنا».

لقد تذكروا المناظر العجيبة التي لعب فيها هذا التابوت أدواراً هامة: كيف هربت أمامه مياه الأردن، وسقطت أسوار أريحا. وكان خروجه –بناء على كلمات موسى مشرعهم العظيم– يعني دائماً تبدد وهروب أعداء الرب. ويقيناً.. أنه كان لابد أن يفعل هكذا أيضاً. لم يدركوا أن معونة الله لا تتوقف على وجود رمز مادي له، بل على الشروط الأدبية والروحية التي يجب أن يفهموها ويتمموها. لا يخلصنا من التجارب مجرد الاعتماد على المظاهر الخارجية، أو السحر أو الشعوذة، بل على الإيمان القوي والصلاة الحارة.

وكان عند وصول التابوت إلى المحلة في الوقت المناسب، يحمله اللاويون، ويرافقه ابنا عالي لحراسته، «أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً» بفرح منقطع النظير. وواضح أن عالي لم يكن موافقاً على أن يترك التابوت مكانه المقدس «لأن قلبه كان مضطرباً لأجل تابوت الله». لكنه كثيراً ما خضع للشعب عندما كان يرى أن احتجاجه عليهم لا يجدي

نفعاً. والأرجح أنه لم يوجد واحد غيره يخاف على التابوت، لأنه «كان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً حتى ارتجت الأرض».

وحالما عرف الفلسطينيون –بواسطة جواسيسهم– سبب هذا الهتاف العظيم ففزعوا جداً، لأنهم هم أيضاً كانوا يدركون أن وصول التابوت يعني حضور إله إسرائيل «لأنهم قد قالوا قد جاء الله إلى المحلة. وقالوا ويل لنا لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس وما قبله. ويل لنا من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين الذين ضربوا مصر بجميع الضربات». وهم أيضاً لم يكن لديهم فكرة عن تلك الاعتبارات الأدبية التي بها يتعاون الله مع شعبه.

كان ضرورياً أن تعطي إجابة حاسمة عن تلك الأفكار المادية التي كانت لدى العبرانيين وأعدائهم. كان يجب أن يبين بأن مجرد امتلاك رمز العهد لا قيمة له طالما كان هناك تمسك بالآلهة الغريبة وعشتاروث ورجاسات الأمم (ص٧: ٣، ٤). إن الالتجاء إلى الشكليات، والرجوع إلى السوابق المباركة، والاعتماد على الرموز المقدسة، هذه أيضاً عديمة الجدوى ما لم يكن القلب طاهراً والأيدي نظيفة «إن راعيت أثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز٦٦: ١٨).

ويبدو أن الفلسطينيين بذلوا أقصى جهدهم في الاستعدادات الحربية الجبارة، لأنهم اعتقدوا أنهم سوف لا يحاربون لحماً ودماً، بل الآلهة التي قادت إسرائيل في سلسلة طويلة من الانتصارات، وتقدموا إلى الحرب ترن في آذانهم كلمات قادتهم «تشددوا وكونوا رجال أيها الفلسطينيون. لئلا تستعبدوا للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم فكونوا رجالاً وحاربوا» _ص٤: ٩) أنظر أيضاً (١كو١٦: ١٣).

كانت نتيجة ذلك اليوم المروع محزنة لأقصى حد. «وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جداً. وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل» (ع١٠). ولابد أن يكون التابوت قد تكدست حوله جثث كثيرة لأن العبرانيين استماتوا في

الدفاع عن رمز إيمانهم. لكن دفاعهم كان عديم الجدوى، لأنه «أُخذ تابوت الله ومات ابنا عالي حفني وفنحاس». هذا ما تنبأ به صموئيل، وهذا ما تم.

وبعد الظهر «ركض رجل من بنيامين وجاء إلى شيلوه وثيابه ممزقة وتراب على رأسه» (ع١٢)، حاملاً الأنباء الأليمة. وإذ جاء وسط الصفوف المتلهفة انبعث صراخ من كل جانب وصار يتزايد حتى وصل إلى قمته في مدينة رئيس الكهنة. «ولما جاء الرجل ليخبر في المدينة صرخت المدينة كلها» وفي المساء صعد نحيب شديد، لأنه لم يكن هناك ما يمنع الجيش المنتصر من دخول المدينة التي حُرمت في يوم واحد من أبطالها ومن إلهها.

كان عالي الكاهن، المتقدم في السن، والأعمى، والمتلهف لمعرفة النتيجة، قد جلس على كرسي في ساحة المدينة. كان قد سرى إلى نفسه إعلان داخلي أن هنالك أنباء أليمة في الجو، وعندما تعالى الصراخ سأل الكهنة واللاويون الحاضرين، ولعله سأل أيضاً صموئيل، وكانوا كلهم في انتظار أية أوامر منه ليبذلوا أية معونة، فسمع عالي صوت الصراخ فقال «ما هو صوت الضجيج هذا؟».

وفي نفس اللحظة ظهر الرسول ومثل أمام الجماعة، وعّرف عالي بنفسه، فسأله عالي في لهفة «كيف كان الأمر يا ابني؟» وبدون إنذار أو مقدمات، وبدون أية محاولة لتلطيف وقع النبأ الأليم قال: «هرب إسرائيل أمام الفلسطينيين. وكانت أيضاً كسرة عظيمة في الشعب ومات أيضاً ابناك حفني وفنحاس. وأُخذ تابوت الله».

تلقى عالي الشيخ المحطم هذه الأنباء في صمت. ضربته الرصاصات الثلاث الأولى ضرباً موجعاً، وليس قاتلاً. ولكن «لما ذُكر تابوت الله سقط من على الكرسي إلى الوراء إلى جانب الباب فانكسرت رقبته ومات».

أما امرأة فنحاس فقد مثلت هول الموقف بكلمة واحدة قالتها –عند احتضارها– لتدعو بها طفلها الذي ولدته وقتئذ قبل موعده، إذ دعته: «إيجابود قائلة قد زال المجد عن

إسرائيل». لقد حزنت فعلاً لأنها أصبحت أرملة، ولأن حماها مات في الوقت الذي كانت البلاد في أشد الحاجة إليه. لكن حزنها كان أشد من الكل لأن التابوت قد أُخذ ومعه زال المجد. كانت هذه سيدة أمينة مخلصة، وتستحق أن تُحسب مع حنة في ولائها لاسم الله وبيته.

لكن متاعب أشد حلت فيما بعد. ففي فزع وتعجل حمل الإسرائيليون بقايا خيمة الاجتماع المقدسة، ومعداتها، وأخفوها. وفي السنوات التالية وُجدت في نوب (١صم٢١: ١). لقد تم نقل هذه الآثار المقدسة قبل أن يهجم الفلسطينيون على المدينة المهجورة بجيوشهم الجرارة. قال إرميا، بلسان الله: «أذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي أولاً وانظروا ما صنعت من أجل شر شعبي إسرائيل» (إر٧: ١٢). ومن كلمات المرنم النبوية التالية يتضح ماحل فيما بعد بالمدينة التي ظلت ثلاث مئة سنة مركزا للحياة الوطنية والحياة الروحية:

ورفض مسكن شيلوه
الخيمة التي نصبها بين الناس
وسلم للسبي عزه
وجلاله ليد العدو
ودفع إلى السيف شعبه
وغضب على ميراثه
مختاره أكلتهم النار
وعذاراه لم يحمدن
كهنته سقطوا بالسيف
وأرامله لم يبكين

(مز٧٨: ٦٠-٦٤)

٣. <u>اسم الرب المرعب:</u>

يشير هذا الجزء من التاريخ إلى الاستنارة المتزايدة في الأمم المجاورة عن طبيعة إسرائيل.

لم تكن هناك طريقة أخرى يعلن بها روح الله شعب فلسطين عن قداسة الله وقدرته، إلا تلك التي اتخذها في المناسبة الحالية. فقد حملوا التابوت من ساحة الحرب إلى هيكل داجون في نشوة الانتصار. وبدا لهم أنهم لم ينتصروا على إسرائيل فقط، بل على إلههم المدافع عنهم، وأن داجون أعظم من الرب. كانت تعتبر كارثة عظيمة لو سمح لهم باعتناق هذه الفكرة بصفة دائمة. ولهذا كان يجب أن يعلن الله في فلسطين عظمته التي لا دنى منها، التي ينفرد بها، كما فعل بمصر قبل ذلك بعدة أجيال. إنه لا يمكن أن «يعطي مجده لآخر، ولا تسبيحه للمنحوتات» (إش٤٢: ٨). ولذلك تمشى مع الآراء المادية الخاطئة لعبدة الأوثان هؤلاء العمي والتقى بهم في دائرتهم. لقد رفضوا أن يتأثروا برسالة أي نبي. وكانوا مستعدين لاحتقار ورجم أي شخص يقاوم عبادة داجون الوطنية العامة.

لكنهم لم يمكنهم مقاومة النتائج التي فوجئوا بها، إذ وجدوا في صباح يومين متتالين، أن تمثالهم منطرح على الأرض أمام التابوت، رمز للرب، وفي المرة الثانية وجدوا أن «رأس داجون ويده مقطوعة على العتبة» ومفصولة عن جسده، «وبقى بدون السمكة فقط».

ولكي يتضح جلياً أن هذا لم يحدث عرضاً، بل من صنع الله، وأنه غاضب عليهم، «ثقلت يد الرب على الأشدوديين وأخربهم وضربهم بالبواسير في أشدود وتخمها»، وفي كل مدينة نقل إليها التابوت، وافتقدوا بفئران مدمرة في كل الأقطار التي قد ينقل إليها.

ونحن ينبغي لنا، بطبيعة الحال، أن لا نتوهم بأن الله لم يحب تلك النفوس الجاهلة، لم تكن هناك طريقة أخرى لإقناعهم بطبيعته الحقيقية وصفاته التي ينفرد بها. لم ترسل ضربات مصر لقصاص فرعون فقط بسبب كبريائه وعناده وتصلفه على القدير، بل لكي يضطر المصريون للاعتراف بأنه هو إله السماء العظيم، الذي رأوا لمحة عنه من وقت لآخر.

وعلى هذا المثال، وفي هذه المناسبة، اضطرهم تمثال داجون المُلقى على وجهه، والمرض الأليم الذي ضربوا به، وتلف محصولاتهم، إلى أن يصرخوا إلى السماء (ع١٢)، وكأنهم قد أدركوا أن الذي تعامل معهم شخصية أعظم من داجون، الكائن الأعظم، الأسمى من كل الآلهة المحلية.

يا له من إعلان سام عن الطريقة الإلهية مع الإنسان! يا لها من رغبة لا نهائية، تلك التي يريد بها أن يكسب ولاء وإخلاص كل البشر. أن الإعلان البالغ في الكمال، الذي لا يدنى منه، والذي عمله لهذا الغرض، هو في ابن محبته. «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر[٢]» (يو١: ١٨).

لكن ماذا كان يجدي التحدث عن ابنه في تلك الأيام الأولي، التي فيها أظلمت قلوب البشر بسبب أسوأ الأفكار وأحط الأخلاق؟ كان يجب أن يكون هناك «أمر على أمر فرض على فرض» (إش٢٨: ١٠، ١٣). كان يجب «التغاضي عن أزمنة الجهل» (أع١٧: ٣٠). كان يجب تخفيف النور عن الأعين الضعيفة السقيمة. كان يجب أن يستخدم الله اللغة التي يفهمها بنو البشر الذين أحبهم، كما كشف يديه وجنبه، فيما بعد، لتوما في شكه، متنازلاً عن استخدام طريقة الإيضاح التي طلبها توما.

لو كان ممكناً للفلسطينيين أن يفهموا رسائل كرسائل يوحنا، لكانت بلا شك قد كتبت إليهم لتعليمهم وتصحيح أخطائهم، ونقلت إليهم عن طريق أحد رجال الله. لكن طالما كانوا لم يستطيعوا فهم مثل سائر التعاليم هذه، فقد علمهم عن طريق طرح تماثيلهم إلى الأرض، والضربات التي لازمت نقل التابوت إلى أي مكان عندهم، والاتجاه السليم الذي اتخذته البقرتان المرضعتان في الطريق من بلادهم إلى بيت شمس بالرغم من أنهما كانتا تجأران من أجل صغارهما.

وبنفس المقياس كان يتعلم سكان تلك المدينة التي على حدود، بيت شمس، درساً قاسياً بأن الله إله قدوس، وإنه لا يسمح لهم بإظهار حب الاستطلاع والفضول، كعادة الناس، وعدم الاحترام في تقبل هذا التابوت غير مسموح به للكهنة، بل حتى لرئيس الكهنة نفسه وبالأحرى لهم، لقد سبق أن أكد الله بصراحة، عندما هلك ابنا هارون يوم تكريسهما للكهنوت، إنه يتقدس في القريبين منه، ويتمجد أمام جميع الشعب (لا١٠: ٣).

كان يجب أن الاحترام اللائق به يظهر في احترامهم لأمتعة القدس، التي كان يجب أن يلفها الكهنة بحرص قبل أن ينقلها اللاويون (عد١: ٥٠، ٥١، ٤: ٥، ١٦-٣٠). كان القصاص الذي

---

[٢] «إعلانه» حسب الترجمة الإنجليزية «أخبر عنه» حسب آخر ترجمة عربية منقحة

أعطي لهم نتيجة عدم احترامهم هذا باعثاً لهم على ذلك الاعتراف المبارك بقداسة الله المهوب، كما قال أهل بيت شمس: «من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا»؟

وكان عندما نقل التابوت باحترام إلى قرية يعاريم، مدينة الغابات وهي تبعد عن وادي بيت شمس بثلاثة أميال، وأدخل إلى بيت أبيناداب، وقدس العازر ابنه لحراسته، كانت البركة التي حلت ببيته دليلاً على محبة الله وعطفه، وعلى أنه مستعد أن يسكن مع «المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي» (إش٦٦: ٢).

أيها الحبيب، لا تخش الرب بقلب جبان، بل بولاء ومحبة ودالة البنين، وأفتح قلبك، لا لينقل فقط تابوت العهد، بل ذاك الذي هو كفارة لخطايانا.

في الخدمة بقلم: فايز فؤاد

المحبة

الكرام والمكارم

الأفاضل والفضائل

الأسماء الواردة في كولوسي ٤: ٧-١٨ ودلالاتها الروحية

(٧) لُوقَا ... الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ

«يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ لُوقَا الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ»

(كو٤: ١٤)

الاسم "لوقا» – وفي اليونانية "لوكاس" – هو اختصار للكلمة اللاتينية "لوكيانوس" والتي تعني "حامل النور" أو "منير" أو "مُعطي النور" أو "مانح النور". وهكذا يجب أن يكون كل مؤمن حقيقي، بإظهار حياة الرب يسوع المسيح، بنورها ولمعانها في حياتنا، ليتحقق فينا قول الرب: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ» – أي ليظهر المسيح فيكم – «هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ» – وليس لكي يمدحكم الناس، بل لكي – «يُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت٥: ١٦). وأيضًا تحريض الرسول بولس: «فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ، مُتَمَسِّكِينَ بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ» (في٢: ١٥، ١٦).

وكم نشكر الله من أجل "لوقا" الذي استخدمه الروح القدس في كتابة إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل، الضوئين العظيمين، اللذان سيبقيان يُنيران للأجيال، ما بقيت الأرض وما عليها!

ولم يكن "لوقا" من تلاميذ الرب الاثنى عشر (لو٦: ١٦)، ولا من السبعين تلميذًا الذين عيّنهم لخدمته (لو١٠: ١)، بل كل ما نعرفه عنه ورد في الرسائل، حيث ذُكر اسمه فيها ثلاث مرات فقط:

«يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ لُوقَا الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ» (كو٤: ١٤).

«يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَبَفْرَاسُ ... وَمَرْقُسُ، وَأَرِسْتَرْخُسُ، وَدِيمَاسُ، وَلُوقَا الْعَامِلُونَ مَعِي» (فل٢٣، ٢٤).

«لُوقَا وَحْدَهُ مَعِي» (٢تي٤: ١١).

وهو لم يكن يهوديًا وإنما أمميًا يونانيًا. فمن كولوسي٤: ١١ يذكر الرسول بولس الذين معه من الختان (اليهود) وحدهم، ثم يذكر أبفراس – وهو أممي – ويتبعه اسما لوقا وديماس، مما يجعلنا نستنتج أنهما كانا من الأمم. وعليه فيكون لوقا هو الكاتب الأممي الوحيد في الكلمة المُوحى بها من الله. ولا عجب في اختيار الروح القدس لهذا الأممي الذي يكتب إلى أمميٍّ نظيره: "ثَاوُفِيلُسُ" (لو١: ٣؛ أع١: ١)، ليُعلن «أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لو١٩: ١٠)، وأن إنجيل النعمة هذا هو لجميع الخطاة لكي يجدوا فيه كل بركات الله موهوبة لهم مِنه، في شخص مُخلِّصهم الرب يسوع المسيح، دون استحقاق فيهم، ودون عمل منهم.

ولوقا – هذا الرجل الجبار العقل والذهن – كان يحلو له دائمًا الاختفاء ونكران الذات، فلم يضع اسمه مطلقًا ولو في ركن من أركان كتاباته، سواء في البدء أو الختام. ولم يتكلَّم عن نفسه بتاتًا باستثناء ما جاء في سفر الأعمال عندما يُغيّر ضمير الغائب إلى ضمير المُتكلِّم «فَمَرُّوا عَلَى مِيسِيَّا وَانْحَدَرُوا إِلَى تَرُوَاسَ ... فَلَمَّا رَأَى (بُولُسُ) الرُّؤْيَا لِلْوَقْتِ طَلَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ مُتَحَقِّقِينَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَانَا لِنُبَشِّرَهُمْ ... فَأَقْلَعْنَا ... وَتَوَجَّهْنَا ... إِلَى فِيلِبِّي ... فَأَقَمْنَا ... وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ خَرَجْنَا إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ ... فَجَلَسْنَا وَكُنَّا نُكَلِّمُ النِّسَاءَ ... فَلَمَّا اعْتَمَدَتْ (لِيدِيَّةُ) هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا طَلَبَتْ قَائِلَةً: إِنْ كُنْتُمْ قَدْ حَكَمْتُمْ أَنِّي مُؤْمِنَةٌ بِالرَّبِّ فَادْخُلُوا بَيْتِي وَامْكُثُوا. فَأَلْزَمَتْنَا» (أع١٦: ٨–١٥ وما بعدها).

لقد كان لوقا مُتعلّمًا من سَيّده الوداعة وتواضع القلب. وإذا كان «الْعِلْمُ يَنْفُخُ» (١كو٨: ١)، فإنه لم يفلح في أن ينفخ هذا الرجل الذي امتلأ – إلى جانب العلم – بالنعمة التي تحفظه من الغرور والانتفاخ. ومن المؤكد أنه كان متفقًا مع يوحنا المعمدان في قوله: «يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ» (يو٣: ٣٠). ليتنا نتعلَّم كيف نُخفي ذواتنا، وليكن شعار كل منا مع الرسول بولس: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل٢: ٢٠).

ولا نعرف كيف آمن لوقا، ولا وقت انضمامه لكنيسة الله. وهو لم يكن مِن شهود العيان الذين رأوا الرب بالجسد، ولا موته وقيامته وصعوده. ومن قصة سفر الأعمال نتعلَّم أنه تعرَّف بالرسول بولس في رحلته التبشيرية الثانية في مدينة ترواس، ورافقه إلى فيلبي (أع١٦: ٩). وعاد ليلتقي بالرسول بولس في رحلته التبشيرية الثالثة في فيلبي (أع٢٠: ٦)، ثم رافقه إلى أورشليم، وظل معه مدة سنتين، وهي مدة سجنه الأول في أورشليم قبل ترحيله إلى رومية. ثم كان رفيقًا للرسول وهو في طريق ذهابه إلى رومية أخيرًا (أع٢٧: ١؛ ٢٨: ١٦). وكان حاضرًا معه حين كتب رسالتيه إلى كولوسي وإلى فليمون.

ومن الواضح أن فترة وجوده في أورشليم لمدة سنتين أعطته الفرصة أن يسمع ويتتبع بتدقيق من «الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ» (لو١: ٢، ٣)، وأمّكنه بعقليته المُرَّتبة والمُدقِّقة أن يجمع ويُسجل أحداث ولادة الرب يسوع وحياته وموته وقيامته وصعوده، مِن الذين التقى معهم كشهود عيان. سواء كانوا من الرُسل مثل بطرس ويوحنا ومتى، أو من غيرهم مِمَن كانوا أحياء في ذلك الوقت من الخمسمائة أخ أو المُطوَّبة مريم أو إخوة الرب الذين كانوا في أورشليم. ولا شك أن هذه الأخبار المُفرحة ملكت قلبه ولُبهُ وكل عواطفه، وكان لها التقدير العظيم في نفسه، مما جعله مُؤهلاً أن يستخدمه الروح القدس ليُصبح آنية وحي بعد ذلك ليكتب هذا الإنجيل الذي يتناول حياة الرب يسوع؛ الإنسان الكامل الذي فيه سُرَّ أن يحل كل الملء (كو١: ١٩).

كتب لوقا الإنجيل الذي يرتبط باسمه، وسفر أعمال الرسل، وكلاهما من الأسفار التاريخية الهامة في العهد الجديد، والتي تتضمن قيمة تاريخية هامة في العهد الجديد. وتقدير العلماء والثقاة بأن لوقا كاتب يوناني ومؤرخ ثقة لكل ما كتبه وأرَّخه.

وسير "وليام رامزي" – وهو أحد أشهر علماء الآثار في بداية القرن العشرين – عزا سبب تجديده ورجوعه إلى الله – أو على الأقل جانب منه – إلى الدقة المُذهلة التي ظهرت في كتابات لوقا في وصفه للأحداث التي جرت في القرن الأول. فلوقا لم يكن دقيقًا فقط فيما شاهده، بل أيضًا فيما نقله عن آخرين. ولا ريب أنه سِيق بقوة علوية لاضطلاعه بهذه المهمة.

وبجانب ما تُوصف به كتاباته من دقة عالية جدًا، فإن ما يتناوله لوقا في موضوعاته مُلذ للغاية لأسباب عديدة: في مقدمتها أنه أراد أن يدافع عن الإنجيل مُقدّمًا البرهان الدامغ على صحة الحق الذي يتضمنه، وهي ذات الرغبة التي كانت لدى الرسول بولس. لقد شدَّد وأثبت جدارة المسيحية بالقبول من الرومان رغم رفض قادة اليهود. ولعله من اللافت للنظر كيف حاول بيلاطس الدفاع عن يسوع منذ أن علم بنية قادة اليهود لقتله حسدًا.

وفي سفر الأعمال نجد خمس "مرافعات" قدَّمها الرسول بولس، ولخصها لوقا، للدفاع عن المسيحية، أمام قادة اليهود تارة، وأمام حكام روما تارة.

نعم، لقد كان لوقا أداة أعدها الله وجهزها – كعالم وطبيب – وجعله كاتبًا وباحثًا دقيقًا ومقتدرًا، ومؤرخًا موثقًا موثوق به. ولكنه يبقى في النهاية خادمًا مسيحيًا مُدافعًا عن الحق الإلهي.

كان لوقا ملازمًا للرسول بولس في سجنه الأول الذي كُتبت منه رسالة كولوسي «يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ لُوقَا الطَّبِيبُ الْحَبِيبُ» (كو٤: ١٤). وكلمة «الْحَبِيبُ» تعبير من جانب الرسول بولس لما

يفعله معه لوقا. لقد رتب الرب لبولس أن يكون لوقا بجواره رفيقًا وصديقًا يؤازره في حمل خدمته التاعبة الثقيلة، وكان أيضًا عاملاً مع الرسول في خدمته (فل٢٤). وفي سجنه الثاني في رومية لم يبق من رفقاء الرسول بولس العاملين معه غير لوقا، ففي آخر رسائله قبيل استشهاده يقول الرسول بولس «لُوقَا وَحْدَهُ مَعِي» (٢تي٤: ١١). فَمِن رفقائه مَن ذهبوا في مشقات الخدمة. ومنهم مَن اقتنصهم العالم لمحبته مثل ديماس. ولكن كم هو جميل أن يرى الرسول هذا الطبيب الحبيب يقف بجواره عند ختام سعيه وجهاده. وكانت النعمة تُحرك قلبه، وإذ كان طبيبًا كان الرسول في شديد الحاجة إليه بالنسبة للشوكة التي سمح بها الرب له، ولازمت حياته (٢كو١٢: ٧). وبحسه كطبيب كان يسند الرسول بولس أيضًا في مشقات خدمته، وما يتحمله من جلد ورجم وضربات كثيرة. وبعنايته الطبية ومساعدته بالعلاج والدواء، كان يُخفف عليه الكثير. لقد كان لوقا مطلوبًا لرحلات بولس الشاقة والطويلة ليُسدد له ما يحتاجه من خدمات طبية متنوعة.

كان لوقا يحمل القلب المُحبّ الجسور الذي يقف في لحظة المحنة إلى جوار صديقه، دون أن يتردد أو يتخلى أو يتراجع أو تبدو منه أقل شبهة في حبه ووفائه وولائه. وكان هو الوحيد الذي ظل أمينًا وبقى مع بولس حتى نهاية حياته. وأمانة لوقا لبولس تتضمن درسًا روحيًا لنا اليوم. فهل نحن مستعدون أن نتمسك ببولس وتعليمه حتى النهاية؟

إن "بولس" يُمثل الحق الإلهي (كلمة الله)، فقد أُعطيَّ له أن يكون خادمًا للكنيسة «لِتَتْمِيمِ كَلِمَةِ اللهِ» (كو١: ٢٥)، فقد كان هو آنية الوحي الذي اختاره الرب لإعلان الحق الخاص بالكنيسة كجسد المسيح، ودعوة الكنيسة السَّماوية لانتظار ابن الله من السماء، والحق الخاص بحضور الروح القدس كأقنوم إلهي يسكن في المؤمن (١كو٦: ٩)، وأيضًا حضوره لقيادة القديسين عندما يجتمعون للسجود والخدمة (١كو١٤). ولكن في رسالته الثانية لتلميذه تيموثاوس، والتي تكلمنا عن مشهد الظلمة والشر في الأيام الأخيرة للمسيحية، نقرأ قول الرسول: «أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي أَسِيَّا ارْتَدُّوا عَنِّي» (٢تي١: ١٥). إنهم لم يرتدوا عن الرب، بل عن الرسول بولس؛ وبولس يمثل أمامنا صوت الوحي وتعاليم المسيحية السامية. ويالها من صورة تمثل لنا أيام الظلمة الأخيرة التي نحن فيها. فالمسيحية المعترفة لم تترك المسيح، ولم تنكر إيمانه؛ أي الحقائق اللاهوتية الجوهرية (رؤ٢: ١٣)، لكنها بالأسف تحولت عن كلام الرسول بولس، وتخلَّت عن التعاليم السامية التي نادى بها.

فما أحرانا – أيها الأحباء – أن نتمسك ببولس وتعليمه حتى النهاية؟ ويالیتنا لا ندع اليأس يملأ قلوبنا من الحالة العامة للمسيحية، فننفض أيدينا من جهة الحق الخاص بالكنيسة؛ الشهادة

يُتبع

الغالية على قلب الله أبينا وقلب ربنا يسوع المسيح، حبيبنا وعريسنا، بل لتتشدد سواعدنا لنكون أمناء حتى النهاية.

تأملات هادئة بقلم: ماكنتوش

«فَقَالَ لَهُمَا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالاَ: الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ» (لو٢٤: ١٩-٢١)

«وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ، قَالاَ لَهُنَّ: لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لكِنَّهُ قَامَ! اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ» (لو٢٤: ٥، ٦)

بدلاً من الالتفات إلى الشهادة التي يعلنها الروح القدس في الكلمة اضطربت أفكارهم تحت وطأة تداعيات الظروف والأحداث التي أحاطتهما. وبدلاً من أن يثبتا بقوة على صخرة الإعلان الإلهي في الكلمة كانا يتطارحان وسط أمواج هائجة وعواصف الحياة. وفي كلمة؛ كانا في لحظة وقوع تحت قوة الموت حيث سيطر على أذهانهما ولا عجب إن كان قلبيهما يعتصران الحزن وكانا مكتئبين.

إلا يحدث لنا كلينا مثل هذا بأن نقع تحت وطأة وقوة أمور منظورة ووقتية بدلاً من أن نحيا بالإيمان في ضوء الأمور غير المنظورة وأبدية؟ نعم. حتى ونحن نعلن ونؤمن بالمخلص الذي قام – ونؤمن أننا متنا وقمنا معه – ويسكن فينا الروح القدس ألا يحدث أننا مرات كثيرة نضعف وننطوي على نفوسنا في ارتعاد؟ ألا نكون في مثل هذه المواقف في حاجة إلى اختبار قيامة المخلص؟

ألا يحدث غالباً حينما نكون معاً أو نسلك طريقنا تكون أحاديثنا دون ما يجب أن يكون؟ قد يكون سبب ذلك الاكتئاب الذي يعترينا أو أننا نضيع الوقت سدى تحت ضغط الظروف التي تحيطنا؛ الطقس، مشاهد في البلاد أو الحالة المادية، معاناتنا الصحيحة، صعوبات الحياة، أي شيء وكل شيء، وبإيجاز وليس ما يجب أن يكون.

من روائع الكلمة

أحزان وأفراح

سفر المزامير، الذي هو قلب الكتاب المقدس النابض بمختلف المشاعر الإنسانية والتجارب البشرية متفاعلة مع المعونات الإلهية والتدريبات الروحية، يتميز بكون عناوين تلك المزامير الموحى بها من الله تحمل دلالات أدبية هامة لمحتوى المزمور. وهذه العناوين تحوي – ضمن ما تحوي – في كثير منها النغمة الموسيقية التي كان يرنم على أساسها المزمور المكتوب شعرًا في أصله. وهذه النغمات – بدورها – تتجاوب مع مضمون تلك المزامير.

ومن الجميل أن نلاحظ أن «القرار» – وهو أوطى نغمة موسيقية – جاء في عنوان مزمور ١٢، وهو مزمور يطبعه الحزن التَقَوي الشديد لانقراض الأمناء من بني البشر. في حين أن أعلى نغمة موسيقية «الجواب» – جاءت في مزمور ٤٦ والذي مطلعه «الله لنا ملجأ وقوة. عونًا في الضيقات وُجِد شديدًا»، وكانت الفتيات العذارى هن أساس التسبيح بهذا المزمور في الهيكل كما يقول التاريخ.

والمدقِّق يلاحظ أن مزمور ٤٦؛ ومعه مزمور ٤٧ و٤٨ اللذان يحملان نفس نغمة الأفراح العالية؛ يأتيان بعد مزامير الانحناء الثلاث (٤٢، ٤٣، ٤٤) والتي يتكرر فيها القول «لماذا أنتِ منحنيّة يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ»؟ ويتلوها مزمور مسيَّاوي جميل هو مزمور ٤٥، وهو يتحدث بكامله عن المسيح «أنت أبرع جمالاً من بني البشر». والعجيب أن هذه المنظومة السباعية من المزامير (٤٢–٤٨) هي لبني قورح، في نفس الحِقبة التاريخية المرتبطة بسبي الشعب القديم. وكأن النظر إلى الأحداث المحيطة أصابهم بالانحناء (٤٢–٤٤)، لكن تحوُّل العين والقلب بالإيمان إلى المسيح (٤٥) بدَّل الحال بهم – وهم في نفس الظروف المحبطة – إلى الأفراح (٤٦–٤٨).

إن الدرس الجميل هو أنه ما أروع أن تحزن النفس (مز ١٢) أو تفرح (مز ٤٦) لأسباب روحية تستحق. أما الدرس الأجمل هو أن العين إذا ما استقرت على الإنسان الفاشل (مز ١١) أو الظروف المحيطة (مز ٤٢–٤٤) فالنتيجة هي الإحزان والانحناء. أما إذا تحوَّلت العين من الناس والأحداث إلى المسيح (مز ٤٥) فسيمكنها عندئذٍ أن تفرح بالله، وينغمه عالية (مز ٤٦–٤٨)!